

مجمع الأمثال

1337 - أَخَذَتْهُ مِنْ هَيْتٍ .

هذا المثل من أمثال أهل المدينة سار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حينئذ بالمدينة ثلاثة من المُخَذَّثِينَ : هيث وهرم وماتع فسار المثل من بينهم بهـَيْتٍ وكان المخنثون يدخلون على النساء فلا يُحْجَبُونَ فكان هيث يدخل على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم متى أراد فدخل يوماً دار أم سَلَمَةَ رضي الله تعالى عنها ورسول الله صلى الله عليه وسلم عندها فاقبل على أخي أم سَلَمَةَ عبد الله بن أبي أمية يقول : إن فَتَحَ الله عليكم الطائفَ فَسَلُّوا أَنْ تُنْذِفَ لَـ بادية بنت غيلان بن سلمة بن معتب الثقفية فإنها مُبْتَدِئَةٌ لَهَيْفَاءَ شَمُوعِ نَجْلَاءِ تَنْذِصَفَ وجهها في القَسَامَةِ وتجزأ معتدلاً في الوسامة إن قامت تَنْذِصَتْ وإن قعدت تبنت وإن تكلمت تَغْنِصَتْ أعلاها قَصْرِيْبٌ وأسْفَلُهَا كَثِيبٌ إذا أقبلت أقبلت بأربع وإن أدْبرَتْ أدبرت بثمان مع تَغْرُ كالأقْحُوان [ص 250] وشيء بين فخذيهما كالقَعْبِ المكْفَأ كما قال قيس بن الخطيم :

تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهِيَ لَاهِيَةٌ ... كَأَنَّ سَمًا شَفَّ وَجْهَهَا نَزَفَ .
بين شُكُولِ النَّسَاءِ خِلَاقَتُهَا ... قَصْدٌ فَلَا جَبِلَةَ وَلَا قَصَفُ .

فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : مالِك؟ سَدَاكَ؟ ما كنتُ أحسبك إلا من غير أولي الإِرْبَةِ من الرجال فلذا كنت لا أَحْجُبُكَ عن نسائي ثم أمره بأن يسير إلى خَاخ ففعل ودخل في أثَرِ هذا الحديث بعضُ الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتأذن لي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن أتبعه فأضرب عنقه ؟ فقال : لا إِنَّ سَمًا قد أُمِرْنَا أن لا نقتل المُصَلَّين فبلغ خبره المخنث فقال : ذلك من النازدرين أي من مخزقي الخبر وبقي هَيْتٌ بخاخ إلى أيام عثمان Bه .

قلت : هذا تمام الحديث وأما تفسيره فقد فسرهُ أبو عُيَيْدٍ القاسم بن سلام في غريبه فقال : أما قوله : " وإن قعدت تبنت " فالتبني : تباعدُ ما بين الفخذين يقال " تبنت الناقة " إذا باعدت ما بين فخذيهما عند الحلب ويقال " تبنت " أي صارت كأنها بُنْدِيَّان من عظمها وقوله " تقبل بأربع " يعني بأربع عُكَّان في بطنها وقوله " وتدبر بثمان " يعني أطرافَ هذه العُكَّان الأربع في جنبها لكل عكنة طرفان لأن العُكَّان تحيط بالطرفين والجنبين حتى تلحق بالمَتْنَيْن من مؤخر المرأة وقال " بثمان " وإنما هي عدد للأطراف واحدها طرف وهو مذكر لأن هذا كقولهم " هذا الثوب سبع في ثمان " على نية الأشبار فلما لم يقل في ثمانية أشبار أتى بالتأنيث وكما يقولون " صُمْنَا من الشهر خمسا " والصوم للأيام دون الليالي

فإذا ذكرت الأيام قيل " صُمْنَا خمسة أيام " وقوله " تغترق الطَّرْفُ " أي تَشْغَلُ عين الناظرين إليها عن النظر إلى غيرها ويقال : بل معناه أنها يُنْظَرُ إليها بالطرف كله وهي لا تشعر وقوله " شَفَّ وَجْهَهَا نَزَفُ " أي جَهَدَه يريد أنها عَتِيقَةُ الوجهِ دقيقة المحاسن ليست بكثيرة لحم الوجه والنزف : خروجُ الدم أي أنها تضرب إلى الصَّغُرَةِ ولا يكون ذلك إلا من النعمة والشَّكُّول : الضروبُ والجَبْدَلَة : الكَزَّة الغليظة .
وأما اسم هيت فقد اختلفوا فيه قال بعضهم : هو هنب بالنون والباء قال ابن الأعرابي : الهنب الفائقُ الحُمَقِ وبه سمي الرجل هنبا وقال الليث : قد صحف [ص 251] أهلُ الحديث فقالوا هيت وإنما هو هنب وقال الأزهري : رواه الشافعي C وغيره هيت - بالتاء - وأظنه صواباً هذا كلامهم حكيته على الوجه واأعلم . وأما قولهم :